

كِتَابُ النِّجَاةِ

فِي الْحِكْمَةِ الْمِنْطَقِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ

تَأَلَّفَ

الشيخ الرئيس الحسين أبي علي بن سينا

نقحه وقدم له

الدكتور ماجد فخري

رئيس دائرة الفلسفة

في الجامعة الأميركية في بيروت

منشورات دار الافاق الجديدة بيروت

٨٠	الشكل الثالث	٦٦/٦٥	في عكس الضروريات وفي عكس الممكنات
٨٠	في اختلاط الممكن والضروري	٦٩	_____ كتاب القياس _____
٨٠	في الشكل الثالث	٦٩	في القياس الكامل وغير الكامل ..
٨٠	في القضايا الشرطية	٦٩	في القياس الاقتتراني والاشتتائي
٨٢	في المقدمة الشرطية الواحدة والكثيرة وفي الشرطيات المحرفة	٧٠	في أجزاء القياسات الاقتترانية وأشكالها
٨٢	في القياسات الاقتترانية من المتصلات	٧٠	في ضروب الشكل الأول من المطلقات
٨٢	فصل القياسات الاقتترانية من المنفصلات	٧١	في الشكل الثاني من المطلقات
٨٥	في القياس الاستثنائي	٧٢	في الشكل الثالث من المطلقات
٨٦	في القياسات المركبة	٧٣	في التأليف من الضروريات
٨٧	في اكتساب المقدمات وتحليل القياس	٧٤	في اختلاط المطلق والضروري في الشكل الأول
٨٨	في استقرار النتائج التابعة للمطلوب الأول	٧٥	في اختلاطهما في الشكل الثاني
٨٨	في النتائج الصادقة من مقدمات كاذبة	٧٥	في اختلاطهما في الشكل الثالث
٨٩	في قياس الدور	٧٦	في التأليف من الممكنتين في الشكل الأول
٩٠	في عكس القياس وقياس الخلف	٧٦	في اختلاط الممكن والمطلق في الشكل الأول
٩١	في القياس الذي من مقدمات متقابلة	٧٧	في اختلاط الممكن والضروري في الشكل الأول
٩١	في المصادر على المطلوب الأول	٧٨	في الممكنتين في الشكل الثاني
٩٢	في بيان أن الشيء كيف يعلم ويجهل معاً	٧٩	في اختلاط الممكن والمطلق في الشكل الثاني
٩٣	في الاستقراء والتعميل والضمير	٧٩	في اختلاط الممكن والضروري في الشكل الثاني
٩٤	في الرأي والدليل والعلامة	٧٩	في اختلاط الممكنتين في الشكل الثالث
٩٥	والقياس الفرسي	٧٩	_____ كتاب البرهان _____
٩٧	في التصور والتصديق	٧٩	في اختلاط الممكن والمطلق في

١٧٥	مستديرة	في أنه لا يجوز أن يتحرك الشيء
	في اثبات أن الحركة المبدعة	بالطبيعة وهو على حالته
١٧٦	واحدة بالعدد	١٤٦ الطبيعية الخ
١٧٨	في الأجسام المتكونة	في أنه لا يمكن أن تكون حركة
	في الكلام على صور هذه	١٤٧ مكانية غير متجزئة الخ
١٧٩	الأجسام وكيفياتها الخ	١٤٨ في الحركة الواحدة
١٨١	المقالة الرابعة	١٤٩ في تضافيف الحركات
١٨١	في الإشارة إلى الأجسام الأولى	١٤٩ في تضاد الحركات
	في أحياز الأجسام الكائنة	١٥٢ في التقابل بين الحركة والسكون
١٨٢	والمبدعة	١٥٢ في الزمان
	في فسح ظنون قيلت في هذا	١٥٦ في المكان
١٨٣	الموضع	١٦١ في النهاية واللانهاية
١٨٦	في التخلخل والتكاثف	في عدم امكان وجود قوة غير
	في أن السماويات تفيض كفيات	١٦٥ متناهية بحسب الشدة
١٨٨	غير ما للبسائط العنصرية	في عدم قبول القوة الغير المتناهية
	في بيان آثار الحرارة والبرودة في	١٦٥ بحسب المدة للتجزؤ
١٨٨	الأجسام	في عدم قبول القوة الغير المتناهية
١٩٠	المقالة الخامسة	١٦٥ بحسب العدة للانقسام
١٩٠	في المركبات الخ	١٦٧ في الجهات
١٩٦	المقالة السادسة	١٧١ المقالة الثالثة
١٩٦	في النفس	في الأمور الطبيعية وغير الطبيعية
١٩٧	في النفس الحيوانية	للأجسام
٢٠٠	في الحواس الباطنة	في أن لكل جسم طبيعي حيزاً
٢٠١	في النفس الباطنة	١٧١ طبيعياً
٢٠٢	في النفس الناطقة	في أن لكل جسم طبيعي شكلاً
٢٠٣	في القوة النظرية ومراتبها	١٧٣ طبيعياً
	في طرق اكتساب النفس الناطقة	في أن الأمكنة الأولى هي أمكنة
٢٠٥	للعلوم	١٧٣ البسائط
	في ترتيب القوى من حيث	في أن العالم واحد وأنه لا يمكن
٢٠٦	الرئاسة والخدمة	١٧٤ التعدد
	في الفرق بين ادراك الحس	في اشتمال الفلك على مبدأ حركة

٢٩٢	ولا يكون وقت أولى من وقت .	٢٦٥	في أن الواجب تام
٢٩٢	في أنه يلزم على قول المخالفين ...	٢٦٥	في أن الواجب بذاته خير محض ..
	أن يكون الله تعالى سابقاً على		في أن الواجب حق بكل معاني
٢٩٢	الزمان والحركة بزمان	٢٦٦	الحقبة
	في أن المخالفين يلزمهم أن		في أن نوع واجب الوجود لا
	في أن الفاعل القريب للحركة	٢٦٦	يقال على كثيرين
٢٩٤	الأولى نفس	٢٦٦	في أنه واحد من وجوه شتى
٢٩٤	يضعوا وقتاً قبل وقت		في البرهان على أنه لا يجوز أن
	في أن حركة السماء مع أنها	٢٦٧	يكون اثنان واجبي الوجود
٢٩٥	نفسانية كيف يقال إنها طبيعية ...	٢٧١	في إثبات واجب الوجود
٢٩٩	في أن المحرك الأول كيف يحرك ..		في أنه لا يمكن أن يكون
٣٠٢	في أن لكل فلك جزئي محركاً		الممكنات في الوجود بعضها علة
	في ابطال رأي من ظن أن	٢٧٢	لبعض على سبيل الدور الخ
	اختلاف حركات السماء لأجل ما		فصل آخر في التجرد لإثبات
٣٠٤	تحت السماء	٢٧٣	واجب الوجود
	في أن المعشوقات التي ذكرنا		في اثبات انتهاء مبادئ الكائنات
٣٠٨	ليست أجساماً	٢٧٦	إلى العلل المحركة
	في ترتيب وجود العقول والنفوس		في أن واجب الوجود بذاته عقل
٣١٠	السماوية	٢٨٠	وعاقل ومعقول
	في برهان آخر على اثبات العقل		في أنه بذاته معشوق وعاشق
٣١٤	المفارق	٢٨١	ولذيذ وملتذد
	في حال تكوّن الاسطقسات عن		في أن واجب الوجود بذاته كيف
٣١٦	العلل الأول	٢٨٣	يعقل ذاته والأشياء
	في العناية وبيان دخول الشر في		في تحقيق وحدانية الأول بأن
٣٢٠	القضاء الإلهي	٢٨٦	علمه لا يخالف قدرته
٣٢٦	في معاد الأنفس الإنسانية		في صدور الأشياء عن المدبر
٣٣٤	في المبدأ والمعاد بقول مجمل	٢٨٨	الأول
	في اثبات النبوة وكيفية دعوة		في اثبات دوام الحركة بقول
٣٣٨	النبي إلى الله والمعاد	٢٨٨	مجمل ثم بعده بقول مفصل
	في العبادات ومنفعتها في الدنيا	٢٩٠	بيان آخر
٣٤٠	والآخرة		في أن ذلك لا يقع لانتظار وقت

المقدمة

هوية الكتاب ومادته

يقول ابن سينا في مطلع «كتاب النجاة» إنه صنفه تلبية لرغبة «طائفة من الأخوان الذين لهم حرص على اقتباس المعارف الحكمية» بأقسامها، من منطق فطبيعيّات فرياضيّات فموسيقى فألهيات ففلك، فجاء كتابه هذا جامعاً لشتى أقسام العلوم الفلسفية التي بسطها بإسهاب في موسوعته الفلسفية الكبرى الموسومة «بكتاب الشفاء».

إلا أن «النجاة» لا يعادل إلا جزءاً ضئيلاً من ذلك الكتاب الذي بلغ ثمانية عشر مجلداً نشر القسم الأكبر منها ابتداء بسنة ١٩٥٠ في القاهرة. ويؤخذ من السيرة التي أملاها ابن سينا على أبي عبيد الجوزجاني أنه صنّفه سنة ١٠٢٦/٤١٧ على الأرجح، وهو في طريقه إلى سابور خواست بصحبة علاء الدولة (توفي ١٠٤١/٤٣٣)^(١). وهو يذكر من جملة فصول هذا الكتاب «المختصر (أو الموجز) الأصغر في المنطق» الذي ألفه أصلاً بجرجان حوالي سنة ١٠١٢/٤٠٢، وضمّه فيما بعد إلى «كتاب النجاة»، و«المدخل إلى صناعة الموسيقى» و«المختصر لكتاب أقليدس»، دون أن يجزم بأن هذا الكتاب الهندسي هو المضموم إلى «النجاة». وكل ذلك يثير إشكالات حول مادة الكتاب، يصعب حلّها. ذلك أن النصوص المنشورة تقتصر على ثلاثة أقسام، في المنطق، فالحكمة الطبيعيّة، فالحكمة الإلهية. ولا أثر فيها للرياضيات أو

(١) راجع سيرة ابن سينا الملحقه بهذه المقدمة.

الموسيقى، مع أن ابن سينا نفسه قد أشار في خطبة الكتاب إلى أجزاء رياضية وموسيقية، يبدو أنه ضمّنها الكتاب أصلاً، ولكنها لم تصلنا.

ومهما يكن من أمر، فقد انطوى هذا الكتاب، كما مرّ، على أهم جوانب فلسفة ابن سينا المنطقية والطبيعية والإلهية، فكان أفضل مدخل جامع إلى تلك الفلسفة. ولا نستثني من ذلك حتى «كتاب الشفاء» الذي يتسم بالتطويل والحشو في أبواب المنطق والطبيعات، ناهيك بأنه يكاد لا يختلف عن «النجاة» في بابي علم النفس والإلهيات. ذلك أن ابن سينا أثبت في هذا الكتاب معظم فصول «الشفاء» في هذين الحقلين، لا سيّما ما كان يمت منها إلى ماهية النفس وقواها، من جهة، ووجود الواجب وصفاته، وصدور الأشياء عنه، وكيفية تحريك المحرك الأول للكون، والعناية وبيان دخول الشرّ في القضاء الإلهي، والمعاد واثبات النبوءات، من جهة ثانية، وكل ذلك دون تغيير يذكر في العبارة أو الترتيب.

ولعلّه من المفيد أن نورد بإيجاز في هذه المقدمة أهم الموضوعات التي يدور عليها «كتاب النجاة» بأقسامه الثلاثة.

أ - المنطق:

في هذا القسم، تناول ابن سينا، على طريقة أرسطو، اللفظ المفرد والمركّب، قبل أن يعرض «للألفاظ الخمسة» التي توفر عليها فرفوريوس الصوري في «إيساغوجي» والتي كانت تتقدّم عادة الخوض في «مقولات» أرسطو.

من ذلك يتطرّق إلى أقسام الكلام الثلاثة، وهي الاسم والكلمة (أو الفعل) والأداة التي عاجلها أرسطو في مطلع «كتاب العبارة» (أو باري هرمينياس)، فإلى أقسام «اللفظ المركّب» أو القضايا التي عاجلها في الفصول اللاحقة من ذلك الكتاب. ويعد أن يتناول أقسام القياس الثلاثة: أي الاقتراي والاستثنائي والشرطي، يأتي على المقدمات التي يبني عليها القياس بأشكاله، وهي تسع: المحسوسات، والمجربّات، والمتواترات، والمقبولات، والوهميّات، والذائعات، والمظنونّات، والمخيّلات، والأوليّات. ويخلص من

ذلك إلى ذكر أوثق أشكال القياس، وهو البرهان الذي يعرفه بقوله: «البرهان قياس مؤلف من يقينيات لإنتاج يقيني». واليقينيات هذه هي مقدمات ثابتة تصلح أساساً للقياس اليقيني، وتقتصر على الأوليات (التي دعاها أرسطو أوائل البرهان) والتجريبيات والمحسوسات والمتواترات، في عرف ابن سينا.

وعند ابن سينا أن البرهان يتقوم من ثلاثة أمور، هي المقدمات، أو المبادئ التي «يُبرهن بها»، فالمسائل التي «يُبرهن عليها، فالموضوعات، التي يُبرهن فيها».

وعني بالمقدمات المبادئ الأنفة الذكر، وبالمسائل المشكلات المطلوب حلّها وبالموضوعات المسلمات التي يبني عليها كل علم من العلوم، كالمادة في العلم الطبيعي والمقدار في العلم الرياضي والوجود في العلم الإلهي.

ويؤخر ابن سينا البحث في ماهية الحدّ وكيفية اكتسابه، وفي «الأجناس العشرة» (أي المقولات) حتى استيفاء القول في البرهان، خلافاً للتقليد المنطقي القديم الذي كان يفتتح بالبحث في الحدود أو التعاريف، ثم المقولات، و«الألفاظ الخمسة» الأنفة الذكر في بعض الأحوال.

ويختتم ابن سينا المنطق بالبحث في «المغلطات» في القياس، سواء ما كان منها في اللفظ أو في ما يخرج عن اللفظ، وهو الباب الذي عاجله أرسطو في كتاب السفسطة.

ب - الطبيعيات:

أما في القسم الثاني الموسوم بالحكمة الطبيعية، فيبدأ بتعريف هذا العلم بقوله إنه «صناعة نظرية»، موضوعها «الأجسام الموجودة، بما هي واقعة في التغير، وبما هي موصوفة بأنحاء الحركات والسكونات». أما مبادئه التي «يتقلدها» العالم الطبيعي عن العالم الإلهي، فهي ثلاثة: المادة والصورة والمفارق وما يلحق بها من أعراض.

ويختلف هذا التصنيف إلى حد ما عن تصنيف أرسطو الذي قصر مبادئ العلم الطبيعي على المادة والصورة والعدم، فقد أقحم ابن سينا فيه

المبدأ المفارق، الذي هو سبب الأجسام الطبيعية ومبداها المذكورين، من حيث «يستبقي المادة بالصورة، ويستبقي بها الأجسام الطبيعية»، كما يقول. وهو يرى مع ذلك أن الخوض في هذا «المبدأ المفارق» ليس من اختصاص العالم الطبيعي، بل العالم الإلهي. لذلك يؤخر الكلام عليه حتى أواخر الإلهيات، حيث يدعوه «بواهب الصور» أو العقل الفعّال الذي يختم سلسلة العقول العشرة التي تفيض عن واجب الوجود.

وبناء على هذا التصنيف، يدور قسم كبير من الطبيعيات على البحث في لواحق الأجسام الطبيعية، وهي الحركة والسكون والزمان والمكان والخلاء والمتناهي واللامتناهي والتماس والاتحام والاتصال والتوالي.

ويقّر ابن سينا في المقالة الثانية من الطبيعيات عدداً من القضايا العامة الخاصة بهذا العلم. منها أن لكل جسم طبيعي حيزاً طبيعياً وشكلاً طبيعياً، وأن جميع الحركات الطبيعية تنتهي عند حركة مستديرة «مبدعة»، هي حركة الأجرام السماوية، التي لا بداية زمانية لها.

ويبي الأجرام السماوية «المبدعة» سلسلة الأجسام المتكونة الخاضعة لدورتي الكون والفساد. وهي تبدأ بالأجسام الأولى أو «البسائط» العنصرية الأربع (أي الماء والهواء والنار والتراب) التي تتركب منها المعادن والنبات والحيوان، وتنتهي بالإنسان الذي يمثل «الأفق» بين عالم الكائنات الفاسدات، وعالم الأجرام السماوية التي لا تتكون ولا تفسد، وترتبط مباشرة بعالم الجواهر المفارقة. وتدور على طبقات الأجسام المركبة الثلاث، أي النبات والإنسان والحيوان، المقالة السادسة في النفس. ويذهب ابن سينا في هذه المقالة إلى أنه قد يتكوّن عن العناصر الأربعة ومركباتها المعدنية، بتأثير القوى الفلكية، لدى امتزاج هذه العناصر امتزاجاً أقرب إلى الاعتدال أجسام أخرى هي النباتات والحيوان والإنسان، تشترك جميعها باقترانها بشكل من أشكال النفس، مبدأ الحياة العام في عالم الكون والفساد. ويعرّف ابن سينا النفس بأنها «كمال أول

لجسم طبيعي آلي»^(١) قد يقتصر فعلها على التغذية والنمو والتوليد، فتكون نفساً نباتية، أو ينضاف إلى هذه القوى (أو الكمالات) الثلاث الحركة والادراك، فتكون نفساً حيوانية، من جهة، أو النطق بقسميه، العالم والعامل، فتكون نفساً إنسانية، من جهة ثانية.

وتدور معظم المقالة السادسة على النفس الإنسانية، وقواها النظرية والعملية.

ويرى ابن سينا أن القوى النظرية للنفس تستمد كمالاتها الأخيرة من العقل الفعّال «الذي هو محلّ المعقولات» أو مستودعها، وذلك على سبيل «الاتصال».

ج - الإلهيات:

يستهلّ ابن سينا القسم الثالث من «النجاة» بقوله إن العلم الإلهي يختلف عن العلم الطبيعي والعلم الرياضي اللذين يبحثان في أحوال بعض الموجودات الجزئية (وهي الأجسام والمقادير)، من حيث يفحص عن أحوال الموجود المطلق ولواحقه، وهي الوحدة والكثرة والقوة والفعل، والقدم والحدوث، والعلة والمعلول.

ويذهب إلى أن أعمّ أقسام الوجود هما الجوهر والعرض. وينقسم الجوهر إلى ثلاثة أقسام: الهيولى والصورة والمفارق، بينما ينقسم العرض إلى تسعة، هي الأعراض أو المحمولات، التي تناولها أرسطو في كتاب المقولات (أو قاطيغورياس)، لذا يعود ابن سينا إلى معالجة موضوع المادة والصورة والمفارق التي كان قد أشار في الطبيعيات إلى أن العالم الطبيعي «يتقلدها» عن الناظر في العالم الإلهي. ثم يتناول أقسام العلل وأحوالها، فمعاني القوة،

(١) لا يعرف ابن سينا الكمال الأول بوضوح، إلا أن أرسطو يميّز في كتاب النفس (١٤١٢، ٢) بين درجتين من الكمال (انتلخيا)، الأولى عبارة عن الملكة والثانية عن الممارسة. ونسبة الأولى إلى الثانية كنسبة المعرفة إلى استعمالها، أو النوم إلى اليقظة. ويعني بالآلي العضوي.

فالقديم والحادث، فالكلي والجزئي، فالتام والناقص، فالواحد والكثير، فالواجب والممكن، وهي أهم موضوعات العلم الإلهي عنده.

ويفضي به البحث في معاني الواجب والممكن إلى تقرير وجود الواجب بناءً على مقدمتين.

١ - الأولى:

أن سلسلة الممكنات الكائنة في زمان واحد لا تمتد إلى ما لا نهاية.

٢ - والثانية:

أن هذه السلسلة بجملتها يستحيل أن تكون واجبة ما دامت تتألف من الممكنات. فوجب أن تنتهي إلى علة واجبة خارجة عن تلك السلسلة، هي واجب الوجود.

من ذلك يتطرق ابن سينا إلى صفات الواجب، وهي الوحدة والبساطة والحقية والخيرية. وعنده أن ذات الواجب، لما كانت مفارقة للمادة فلا بد أن تكون عقلاً، ولما لم تكن فيها كثرة، لم ينفصل فيها العقل عن المعقول، ولما لم يكن فيها نقص، فهي خير وبهاء مطلقان، يتحد فيه الطالب والمطلوب والعاشق والمعشوق. وحاصل هذا القول أن واجب الوجود مستوفٍ لجميع شروط الكمال والوحدة وأن ماهيته لا تنفصل عن أنيته.

في أعقاب ذلك، يعقد ابن سينا عدداً من الفصول تدور على صدور الموجودات عن الواجب عن طريق الفيض. وأول ما يفيض عن هذا الواجب العقول العشرة، فنفس الأفلاك، فالأجرام السماوية، فالكائنات الفاسدات. وهي تصدر جميعاً عن الواجب صدوراً أزلياً، لأنه يستحيل أن تتجدد فيه حال لم تكن من قبل، تؤدي إلى صدور الموجودات عنه في الزمان بعد أن لم تكن، وإلا لم يكن واجباً من جميع الجهات. وهذا الصدور لازم، لا يقترن بقصد أو داعٍ خارج عن ذات الواجب، فانتفت عنه الإرادة بجميع أشكالها.

ويختم ابن سينا الكتاب بالفحص عن المبدأ أو المعاد «قول مجمل في الإلهامات والدعوات المستجابة والعقوبات السماوية»، وفي إثبات النبوات وكيفية دعوة النبي إلى الله والمعاد، وفي العبادات ومنفعتها في الدنيا والآخرة،

وهي موضوعات خارجة إلى حدّ كبير عن غرض الإلهيات، كما فهمها أرسطو، فكان يصعب بالتالي تعليل اقحامها في صلب هذا العلم، إلا أن يكون ابن سينا قد توّسل من وراء ذلك الإحاطة بكل ما يمتّ إلى وجود الواجب وصلته بعباده، ويضفي على هذا الكتاب طابعاً إسلامياً إلى حدّ ما.

وقد طبع كتاب النجاة في القاهرة مرتين سنة ١٩١٢/١٣٣١ وسنة ١٩٣٨/١٣٥٧. وترجمت أجزاء منه إلى الفرنسية والانكليزية واللاتينية^(١). وكان قد طبع أصلاً للمرّة الأولى، في روما سنة ١٥٩٣. وتمتاز الطبعة الحالية عن سابقتها بأن الناشر رجع في تحقيق الفصول الخاصة بكتابي النفس والإلهيات إلى كتابي «أحوال النفس» و«الشفاء»، اللذين حقّق الأوّل منها أحمد فؤاد الأهواني (سنة ١٩٥٢)، بينما حقّق الثاني الأب قنوتي وسعيد زايد (١٩٦٠). ويكاد التطابق بين النصوص التي عورضت على الكتابين يكون تاماً. ومع ذلك فـ «كتاب النجاة» عشرات من المخطوطات المحفوظة في مكاتب أوروبا واسطنبول، فلا مندوحة من إخراجه إخراجاً علمياً محققاً، على الرغم من صعوبة الاضطلاع بهذه المهمة.

(١) راجع مراجع المقدمة.

مؤلف الكتاب

لا نزاع في أن ابن سينا هو واضع هذا الكتاب، الذي ينطوي على أهم جوانب فلسفته المنطقية والطبيعية والإلهية، ويمتاز على أشهر مؤلفاته أي «الشفاء»، باقتضابه وشموله.

وينبغي أن نعرض الآن بإيجاز لسيرة حياته، كما جاءت خاصة في السيرة التي أملاها على تلميذه أبي عبيد الجوزجاني، فأكملها الأخير، وبنى عليها المؤرخون اللاحقون، أمثال ابن أبي أصيبعة (توفي ٦٦٨/١٢٧٠) والقفطي (توفي ٥٦٥/١١٧٠) والبيهقي (توفي ٦٤٦/١٢٤٨)، أخبارهم عن ابن سينا وآثاره. وقد صدرت هذه السيرة حديثاً في «نشرة محققة» باللغتين العربية والانكليزية، من اعداد وترجمة وليم غولمان، فرأينا الحاقها في الأصل العربي بهذا الكتاب.

يستفاد من هذه السيرة أن الحسين بن سينا ولد في قرية أفشنة من أعمال بخارى سنة ٣٧٠/٩٨٠، وكان أبوه واسمه عبدالله يميل إلى الاسماعيلية، ويتردد عليه بعض دعاهم الذين كانوا يتذكرون في أمور فلسفية وهندسية على مسمع من الفتى حسين. أضف إلى ذلك أن أباه كان يطلع «رسائل أخوان الصفا»، كما كان يظالعه ويتأملها هو. ومع أنه يشير إلى أن هذه المذاكرات التي كان يسمعا «لم تقبلها نفسه»، فلا شك أنه كان لها أثر في اقباله على الفلسفة فيما بعد. وكان يشتغل بادىء الأمر بالفقه الذي

أخذه عن اسماعيل الزاهد، ولكنه لم يلبث أن تحوّل عنه إلى الفلسفة، التي تتلمذ فيها على أهم أساتذته الأول، أبي عبدالله الناطلي.

بدأت دراسته للفلسفة بالمنطق، على الناطلي، ثم انتقل من ذلك إلى الهندسة فالفلك. ومع أنه يعترف بفضل الناطلي بتعريفه بهذه العلوم، فهو لا يتورّع عن الغمز من قناته. فما من مسألة قالها «إلا وتصوّرتها خيراً منه»، كما يقول، عند ذكر كتاب «إيساغوجي»، كما أنه لم يأخذ عنه إلا ظواهر المنطق، «أما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر»^(١).

ولما رحل الناطلي، أخذ ابن سينا بتحصيل الطبيعيات والإلهيات على نفسه. ثم انتقل من ذلك إلى دراسة الطبّ، فبلغ فيه مبلغاً عظيماً، حتى «بات فضلاء الأطباء يقرأون علم الطب علي» وهو لم يتجاوز السادسة عشرة بعد.

في أعقاب ذلك أقبل على مراجعة العلوم الفلسفية والتملك منها، حتى استحکم منها جميعاً، ما خلا العلم الإلهي. وعلى الرغم من اعتداد ابن سينا بنفسه، فهو يقرّ بأنه قرأ «كتاب ما بعد الطبيعة» لأرسطو أربعين مرّة، دون أن يدرك غرض واضعه، حتى وقع على كتاب أبي نصر الفارابي (توفي ٩٥٠/٣٣٩) «في أغراض ما بعد الطبيعة» عند أحد الورّاقين، فلما قرأه انفتحت عليه معاني هذا الكتاب ففرح بذلك وتصدّق بشيء كثير على الفقراء، كما يقول.

ومن العوامل التي أعانته على التملك من سائر العلوم اتصاله بسلطان بخارى نوح بن منصور (توفي ٩٩٧/٣٨٧) الذي كان قد ألمّ به آنذاك داء مستعص، فشارك في معالجته والتحق بخدمته. وإبان ذلك استأذنه في دخول دار كتبه التي كانت تحتوي على أصناف الكتب النادرة، فطالعتها، واستوعب محتوياتها حتى أتقن العلوم كلّها، وهو في الثامنة عشرة من العمر.

ولما بلغ الحادية والعشرين شرع بالتأليف، فألف أوّل كتبه وهو

(١) راجع الملحق.

«المجموع» في سائر العلوم، عدا الرياضيات، وأعقبه بـ «كتاب الحاصل والمحصول» في الفقه، و«كتاب البرّ والإثم» في الأخلاق.

ولما توفي أبوه، انتقل من بخارى إلى كركانج حوالي سنة ١٠٠٢/٣٩٣، والتحق بخدمة الأمير علي بن المأمون (توفي ١٠٠٩/٣٩٩)، ثم انتقل إلى نسا فباورد فطوس، ومنها إلى جرجان حيث قصد الأمير قابوس (توفي ١٠١٣/٤٣٣) فلم يحظ بلفائه، فتوجه إلى دهستان ولكنه مرض فيها فعاد إلى جرجان حيث التقى أبا عبيد الجوزجاني، الذي أخذ يقرأ عليه العلوم والشيخ ماضٍ في وضع مؤلفاته، وأهمها في هذه الحقبة أول «القانون».

في أعقاب ذلك انتقل إلى الريّ واشتغل بخدمة السيّدة، أرملة فخر الدولة (ت ٩٩٧/٣٨٧) السلطان البويهي، وابنها مجد الدولة (توفي ١٠٢٨/٤١٩)، كما اشتغل بمعالجة شمس الدولة (توفي ١٠٢١/٩٩٧)، فأصبح من ندمائه ووزرله. ويبدو أنه شرع بتأليف «الشفاء» في هذه الحقبة. وبعد فترة من الاضطراب السياسي آلت إلى حبسه في قلعة فردجان، وقد على بلاط علاء الدولة (توفي ١٠٤١/٤٣٣) وانضم إلى بطانته، فأتّم «الشفاء»، كما صنّف «كتاب النجاة» وأتمّ «القانون»، ووضع كتباً في اللغة والفلك. ولم يلبث أن أصيب بداء القولنج، فراح يدبّر نفسه ويفرط في الاحتقان حتى أصابه الصرع، وهو لا ينقطع عن الجامعة التي كان يشتغل بها كثيراً، كما يقول الجوزجاني، حتى توفي ودفن في همدان سنة ١٠٣٧/٤٢٨، وهو في الثامنة والخمسين من العمر.

والجدير بالذكر أنه باستثناء الآثار المذكورة أعلاه، يصعب تحديد تواريخ مؤلفات ابن سينا التي تربو على المائة، ويجد القارىء في السيرة الملحقه بهذا الكتاب لائحة بها.

ماجد فخري

(مراجع المقدمة)

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٦٥.
- البيهقي، ظهير الدين، تنمة صوان الحكمة، لاهور، ١٩٣٥.
- القفطي، علي، تاريخ الحكماء، ليسك، ١٩٠٣.
- قنوازي، جورج، مؤلفات ابن سينا، القاهرة، ١٩٥٠.
- ابن سينا، الحسين أبو علي، أحوال النفس، القاهرة، ١٩٥٢.
- ابن سينا، الحسين أبو علي، كتاب الشفاء (الإلهيات) القاهرة، ١٩٦٠.
- ابن سينا، الحسين أبو علي، القانون في الطب، وبذيله كتاب النجاة، روما، ١٥٩٣.
- Nematallah Carame, *Avicennae Metaphysics Compendium*, Rome, 1926.
- William E. Gohlman, *The Life of Ibn Sina*, Albany, New York, 1974.
- Fazlur - Rahman, *Avicenna's Psychology*, London, 1952.
- P. Vathier, *La Logique du Fils de Sina*, Paris, 1659.

ملحق أ:

سيرة الشيخ الرئيس (*)

كان والدي من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى في أيام الأمير نوح بن منصور واشتغل بالتصريف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية من ضياع بخارى يقال لها خَرْمَيْشَن وهي من أمّهات القرى بتلك الناحية. وبقرها قرية يقال لها أَفْشَنَة فتزوج أبي منها بوالدي^(١) وقطن بها وتبنك. وولدتُ أنا فيها^(٢) ثم وُلِدَ أخي^(٣) ثم انتقلنا إلى بخارى. وأُخْضِرَ لي معلّم القرآن ومعلّم الأدب وكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى يقضي منّي العجب.

وكان أبي تَمَنُّ أجاب داعي المصريين ويُعَدُّ من الإسماعيلية. وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي. وكانوا ربّما تذاكروا ذلك بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني إليه. يجرون على ألسنتهم أيضاً ذكر الفلسفة والهندسة

(*) راجع النصّ العربي والترجمة الإنكليزية في: William E. Gohlman, The Life of Ibn Sina,

Albany, New York, 1974. وقد أُضِيفَت حواشٍ مرقمة إلى النصّ.

(١) اسمها ستاره.

(٢) في صفر سبعين وثلاثمائة والطالع السرطان درجة شرف المشتري والقمر على درجة شرفه والشمس على درجة شرفها والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة في كط (أي ٢٩) من السرطان وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعري اليمانية.

(٣) عمود بعده بخمس سنين.